

وقد ظلت تخضع الرجل منهم ، لا عن حب بل عن اضطرار ، وكانت تجد لذتها في الصراع الدائم بين شدة مراسها وحقد أضغانها .
وأى لذة أكبر من أنها لا تخضع إلا بعد أن يعلو إلى فمها فيكاد يغرقها تيار ينسبها حقدها . على عظمه ١٢ وكلمها وافق الاسترضاء نقطة الانكسار تمتعت النفس بأقصى حدود النشوة ، أما الآن فهي تخضع ، سواء أكان التيار إلى قدمها أم إلى ركبته . لا تعرف لذة الشبع ، لأنها حرمت لذة الجوع . لم تكن تبغض عليوى ، ولكنها كانت تتمنى لو كان من الغجر .

قطع تفكير العجورية نور مصباح يضيء على الجسر حيث يجلس عليوى ، وبدت لها قهوة في وسطها - وتحت المصباح - دكة خشب عليها رجل بيده ربابة ينشد .. فتسبت أفكارها وجاءت تستمع لقصة (حبيب مرعى ويحيى ويونس ، عند الزناتي في تونس ، ورجوع الأمير أبوزيد إلى الأطلال .. وتوالت صرخات الرجل ، تبدأ عندها مهمة الحالسين . وكلهم أصاخ بأذنه للقصة وللأشعار وكلما تقدم الليل ضاقت أنفاس المصباح ، يزيدها اختناقاً حلقة كثيفة من ناموس كالتراب انعقدت حوله رغم دخانه المتصاعد . ولف الكون سكوت شامل ، وكانت السماء في ظلامها كأنها جناح وطواط حط على العالم . له بين الحين والآخر رعشة خفيفة .. هي سبب هزة هذه النجوم القليلة التي ترتجف ثم تثبت . ولم يستطع المصباح بأزيزه ، ولا المنشد بربابته ، أن يبدد بعض ما في الكون من حزن جائم .. هل الليل جنة